كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة : الاولى

أستاذ المادة : أ.د زياد عويد سويدان

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ العراق القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of ancient Iraq

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية : مصادر تاريخ العراق القديم .

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Sources of the ancient history of Iraq

محتوى المحاضرة الأولى

مصادر دراسة تأريخ العراق القديم .

اعتمدت في دراسة تاريخ بلاد الرافدين بداية الامر على المعلومات التاريخية التي جاءت من أخبار متفرقة حوتها الكتب الدينية منها التوراة والتلمود البابلي ، ومؤلفات الكتاب الكلاسيكيين (اليونان والرومان) ومن أشهرهم (هيرودوت) (480-425 ق.م)، و(ديدروس الصقلي) ولد بجزيرة صقلية (140-80ق.م)، و(سترابو) (64ق.م – 19م)، و(بلينوس – بليني) (23-79م) وغيرهم، ومما أوردته المصادر السريانية ومن أهمها ما كتبه (اوبسبيوس)(265-340م) الذي ألف عدة كتب عن تأريخ العرب العام ، و(ملالا) (491-478م)، وغيرهم الكثير، وتجدر الإشارة إلى اقتباس المؤلفين الكلاسيكيين لمعلومات أوردوها عن تأريخ بلاد بين النهرين استقوها من المؤرخ البابلي (بيروسس) الذي يرجح أن يكون اسمه البابلي (برحوشا أو برخوشا أو برعوشا)، وكان كاهن معبد الإله مردوخ في بابل في مطلع العهد السلوقي (ق 3ق.م)، وقد ألف كتاباً عن بابل باللغة اليونانية منذ بدأ الخليقة إلى فتح الإسكندر المقدوني لها عام 331ق.م، ولم يعثر على هذا الكتاب لحد الآن، ومن مصادر معلوماتنا الأخرى عن تأريخ بلاد ما بين النهرين الروايات والأخبار التي دونها الكتاب العرب المسلمون الأوائل بعد أن كان يتناقلها العرب شفاهاً عن طريق الرواة والإخباريين، وهي تحتوي على الكثير من الأساطير والمبالغة، فضلاً عما دونه الرحالة والجغرافيون الأوربيون الذين زاروا المنطقة في أوقات مختلفة سبقت التنقيبات العلمية، فنقلوا إلى بلدانهم وصف لما شاهدوه من تلال وبقايا أثرية في بلاد ما بين النهرين، الأمر الذي حفز الباحثين الآثاريين فيما بعد للقدوم إلى العراق والتنقيب في آثاره.

وبدأت مرحلة التنقيب في العراق على يد الباحثين الأوربيين والأمريكان الهواة بادئ الأمر منذ (1842-1899م)، وكان هدفهم الحصول على المنحوتات الكبيرة، لذا فقد تميزت تنقيباتهم ببعدها عن الطرق العلمية الصحيحة المتبعة في التنقيب، فخربت الكثير من المواقع الأثرية، ثم جاءت بعثات آثارية علمية متخصصة للتنقيب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فضلاً عن قيام مديرية الآثار العراقية منذ سنة 1936م بالتنقيب أيضاً، وليبدأ العلماء رحلة البحث عن ما مطمور من آثار في باطن التلال الأثرية وفي الكهوف وملاجئ الجبلية، ليماط اللثام عن عشرات الآلاف من اللقى الأثرية والكتابات المدونة على الرقم الطينية والحجارة، وتعد الآثار والنقوش والكتابات وجداول الملوك والسلالات وكل ما خلفه إنسان العراق القديم في مقدمة مصادر الدراسات التاريخية الخاصة ببلاد ما بين النهرين.

الكتابة المسمارية.

تعد الكتابة أهم مصادر دراسة تاريخ بلاد ما بين النهرين، كما تعد أهم منجزات بلاد ما بين النهرين، لما لها من أثر بارز في حفظ التراث العالمي، ففي بلاد ما بين النهرين بدأت الكتابة وفيه تطورت ومنه

انطلقت فكرت الكتابة إلى مصر ثم إلى باقي أرجاء المعمرة، وأن الكثير من بلدان العالم القديم المجاورة لبلاد ما بين النهرين استخدمت الخط المسماري الرافديني العريق. وكان للسومريين الريادة في اكتشاف الكتابة، ودعت حاجة المعبد في تنظيم إيراداته إلى اكتشاف الكتابة، ثم أخذ التدوين يشمل كل مناحي الحياة، إذ تراوحت النصوص السومرية المسمارية بين الوثائق الإدارية والنصوص الملكية والإنجازات الأدبية كالتراتيل والتعاويذ والابتهالات والشرائع والأساطير، ومرت الكتابة بمراحل عدة إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج . يعد العصر الحجري المعدني آخر عصور ما قبل التاريخ، والفاصل بين العصر الحجري الحديث وعصر فجر التاريخ، بدأ هذا العصر في نحو 5000 ق.م وانتهى في نحو 3000ق.م، وسمي بذلك لأن إنسان هذا العصر استمر في صناعة أدواته من الحجارة فضلاً عن استخدام المعادن، وفي هذا العصر ابتكرت الكتابة الصورية، وكان اكتشاف الكتابة الحد الفاصل بين عصور ما قبل التأريخ والعصور التأريخية التي تلته، ففي الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل بدأت بواكر الكتابة الصورية في مدينة الوركاء (أورك) في الناصرية، ثم تلا هذا العصر الشبيه بالكتابي أو عصر فجر الكتابة، ويشغل هذا العصر المدة من3500–2800ق.م، وأهم مميزات هذا العصر هو اختراع الكتابة لأول مرة في تاريخ الحضارة، وكانت صورية في بداياتها، إذ عثر في الطبقة الرابعة من موقع الوركاء على كتابات على شكل صور سميت بـ(الكتابات الصورية)، واقتصر الكتابات على تدوين شؤون المعابد ولم يكتب بها نصوص تاريخية، ثم تطورت الكتابة الصورية في مراحل لاحقة إلى الكتابة الرمزية المقطعية، ثم إلى الكتابة المسمارية المعروفة، والمسمارية ترجمة للمصطلح الإنكليزي (Cuneiform) التي تعني (شكل الإسفين أو المسمار)، لأن رموز هذه الكتابة تنتهي بشكل يشبه المسامير، وحلت رموز الكتابة المسمارية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إذ عثر على نص مدون بثلاث لغات هي: الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية منقوش في جبل يهستون قرب كرمنشاه، وعن طريق ترجمة النص الفارسي تمكن الآثاريون من ترجمة النص البابلي وبالتالي التعرف على الرموز المسمارية وقراءتها تحديد أزمان الأدوار الحضارية .

وكان لفك رموز الكتابة المسمارية أثر كبير في التعرف تأريخ العراق القديم والقوى التي حكمته وتسلسل ملوكها وتحديد الأزمان التاريخية، وهناك أساليب وطرق متعددة لمعرفة الأدوار الحضارية يمكن إيجازها بما يلي.

1- التلال الإثارية والأدوار التاريخية والطبقات الإثارية يقصد بالتلال الإثارية تلك التلال الصناعية التي تحوي في باطنها بقايا مدن أو قرى أو معابد قديمة طمرت تحت التراب فكونت ما يعرف بالتلال الإثارية، وتنشأ التلال الإثارية نتيجة رحيل السكان عن مساكنهم لأسباب شتى منها تحول مجرى النهر أو تغير مسار الطرق التجارية أو تدميرها بسبب الحروب أو العوامل الطبيعية كالحرائق والزلازل وغيرها، فتتراكم الأتربة على المساكن المهجورة وتكون تلال أثرية، وتتكون هذه التلال أيضاً نتيجة قيام سكان

منطقة ما بهدم جدران منازلهم بعد ان انعدمت الفائدة من ترميم تلك الجدران فيجعلونها قاعدة لبناء جديد، وتسمى هذه القاعدة طبقة، وهكذا تتراكم الطبقات كلما تم تجديد السكن، وتكون فيما بعد تلال أثرية تحوي في داخلها عدة طبقات سكنية قديمة تسمى (الطبقة الآثارية)، إلى أن نصل إلى قعر التل حيث توجد بقايا أول بيوت شيدت على الأرض البكر، وتجدر الإشارة إلى أن مواد البناء قد تختلف من طبقة آثارية إلى أخرى. أما (الدور الحضاري) و(الدور التاريخي) يقصد به حقبة زمنية حضارية تتميز بآثارها الخاصة وطرازها المعمارية وأدواته وفخاره، وقد يستغرق عدة قرون، ويتألف من عدة طبقات أثرية، وتتميز أيضا بتبدلات حضارية بارزة كالاختراعات الجديدة، وأحيانا يكون مصحوب بتبدلات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ومثال ذلك هو مدينة الوركاء الأثرية التي تتكون من 18 طبقة أثرية (دور بنائي) مقسمة على أربعة أدوار تاريخية هي: دور العبيد يليه دور الوركاء يليه دور (جمدة نصر) يليه عصر السلالات. ونشير إلى اختلاف في تحديد أزمان الطبقات الآثارية تبعا لمادة البناء المستخدمة في الطبقة، فالحجر والآجر (الطابوق) يعمر أكثر لذا تقدر فترته بنحو مئة سنة تقريباً، في حين أن أبنية اللبن تكون أقصر عمراً وتقدر طبقتها بجيل واحد (25-30) سنة.

2- جداول السلالات والملوك حملت لنا الكتابات المسمارية جداول للسلالات والملوك الذين حكموا بلاد ما بين النهرين، كجداول سلالات الملوك السومرية والبابلية والآشورية، ومنها أيضاً جداول بملوك بابل ومعاصريهم من ملوك آشور في أعمدة متوازية، وتم التعرف إلى فترات حكم ملوك هذه الجداول من خلال ذكر بعض الأحداث الثابتة كحدوث كسوف للشمس في فترة حكم الملك (آشور دان الثالث)، إذ استطاع الفلكيون معرفة فترة حدوث هذا الكسوف (763/6/15ق.م) وبالتالي التعرف إلى فترة حكم ملوك آشور ومن يعاصرهم، ويمكن الاستدلال بفترات حكم ملوك في بلدان معاصرين لملوك بلاد ما بين النهرين، كملوك مصر القديمة وملوك فارس وملوك ماري في سوريا، فضلاً عن الجدول المهم الذي نظمه الجغرافي اليوناني (بطليموس) في القرن الميلادي الثاني وذكر فيه ملوك بابل وفارس والأباطرة الرومان بدأً من الملك البابلي (نبو ناصر)(746-734ق.م) إلى زمن الإمبراطور الروماني (انطونيوس بايوس) (138-161م)، وهكذا تمكن الآثاريون والمؤرخون من تحديد فترات حكم ملوك بلاد ما بين النهرين في عصورها التاريخية بصورة مضبوطة تقريباً، أما عصور ما قبل التأريخ فقد استعانوا بالطرق العلمية الحديثة التي سنوضحها في النقطة التالية.

3- البقايا الجيولوجية والنظائر أو العناصر المشعة . تمكن العلماء من خلال دراسة طبقات الصخور وبقايا الحيوانات والنباتات المتحجرة من تحديد الأزمان التاريخية، وتعد طريقة النظائر أو العناصر المشعة (كربون- 14 (C-14 /من أهم الطرق المعتمدة في التعرف على عمر المواد العضوية، إذ أن هذا العنصر يتناقص بنسبة ثابتة فبعد موت الكائن الحي يتناقص إلى النصف كل (5600 سنة أو 6750 سنة) ثم وبعد مرور نصف هذا الزمن يفقد نصف الوزن المتبقي وهكذا إلى أن يتحول على نتروجين، وقد صنع لهذا الغرض (جهاز كايكر) لمعرفة عمر العضو الميت، ونسبة الزيادة والنقصان التي يعطيها تتراوح بين

(200-300سنة)، وتنفع هذه الطريقة في التعرف على عمر المواد العضوية لفترة لا تتجاوز (60000-70000عام)، أما الفترات التي تتجاوز هذا التاريخ فهناك طرق علمية أكثر تعقيداً مثل طريقة احتساب نصف عمر العنصر المشع للبوتاسيوم.